كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بدمياط الجديدة
المجلة العلمية
العدد (١١) ديسمبر ٢٠٢٢م

السمو الأخلاقي
في الشعر السوداني المعاصر
الشاعر محمد سعيد العباسي أنموذجاً

إعداد

د.ندى بكري مساعد الزبير & د.هدى قسم الله مصطفى الأمين

كلية العلوم والآداب بمحايل عسير

جامعة الملك خالد

السعودية

الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

ملخص البحث

لقد جاءت هذه الدراسة بعنوان: السمو الأخلاقي في الشعر السوداني الحديث، حيث سلطت الضوء على أهم ملامح السمو الأخلاقي التي تضمنها الشعر السوداني الحديث، متمثلاً في نظم الشاعر محمد سعيد العباسي، الذي جاء انتاجه الأدبي مفعماً بسمو أخلاقي يشّعُ فضلاً وأدباً وحسن خلق.

بدأت الدراسة بتمهيد تطرق لبداية عصر النهضة الأدبية، مبينة دور أدباء السودان في تطور الانتاج الأدبي وأهم العوامل التي أدت الى نهوضه وتطوره، فانتقلت إلى تعريف عام بالشاعر محمد سعيد العباسي، ثم انطلقت إلى محورها الرئيس ألا وهو: السمو الأخلاقي في الشعر السوداني الحديث (محمد سعيد العباسي أنموذجاً).

بينت الدراسة أن شعر العباسي يزخر بقيم انسانية فاضلة حيث اشتمل على مادة موفورة من السمو الأخلاقي النبيل، فهو يطرح الحياة في صورة متحركة نشطة زاخرة بالتفاعلات الاجتماعية والأحداث السياسية، مما عمّق جانب البعد الأثري لإنتاجه الفني في رؤية متميزة. وقد حظيت الجوانب الأخلاقية عنده باهتمام بالغ، فهي مزيج من روافد عدة تجمع ما بين الأصالة والحداثة، فهو يعتمد على عنصر الواقعية والتعقّل مع المحافظة على الشحنة العاطفية لإنتاجه الأدبي والفني؛ محافظة عليه من الجمود والجفاف، فجدد في الموضوعات والأخيلة وحافظ على الأسلوب القديم والمتانة التعبيرية.

الكلمات المفتاحية: العباسي، السمو، السوداني، الأخلاقي، الحديث

Abstract

This study came under the title: Moral Transcendence in Modern Sudanese Poetry، where it shed light on the most important features of moral elevation contained in modern Sudanese poetry، represented in the systems of the poet Muhammad Saeed al-Abbasi، whose literary production was full of moral elevation that radiates virtue، literature and good manners.

The study began with a preface that touched upon the beginning of the literary renaissance، showing the role of Sudanese writers in the development of literary production and the most important factors that led to its rise and development. Saeed Al-Abbasi as a model.

The study showed that Abbasi's poetry is replete with virtuous human values، as it contains a material of noble moral dignity، as it presents life in an active moving image full of social interactions and political events، which deepens the aspect of the archaeological dimension of his artistic production in a distinct vision. His moral aspects have received great attention، as they are a mixture of several tributaries that combine authenticity and modernity. He relies on the element of realism and prudence while preserving the emotional charge of his literary and artistic production; Preserving it from stagnation and dryness، it renewed its themes and fantasies and preserved the old style and expressive durability.

Keywords: Abbasid ،Highness ،Sudanese ،Moral ،Hadith

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

إن للشعر مكانة رفيعة عند العرب وأثراً بالغاً في نفوسهم، إذ يعتبر أقدم ضروب النقل والإبلاغ، وما يزال أكثرها تحدياً وجاذبية بالنسبة إلى الفنون الأدبية الأخرى، فهو سجل تَدّون فيه أحداث الحياة، إذ يحمل في ثناياه سموا اخلاقياً رفيعاً، يهدف إلى ضبط السلوك الإنساني ويمكنه من التكيف مع المجتمع بصورة إيجابية، كما يهدف إلى إيجاد تعاملات بناءة بين الأديب والمتلقي في أوسع مضمون ودلالة ممكنة،، فهو حامل لواء التوجيه إلى القيم الأخلاقية الحميدة، حيث حفظ لنا قدراً كبيراً من المناقب السامية تحلى بها جيد التاريخ على مرِّ العصور، وتناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل مستنيرة بهديها، قال الشاعر أبو تمام:[١]

وَلَولا خِلالٌ سنَّها الشعرُ ما دَرى بغـاةُ العُلا من أينْ تُـؤتى المكـارِم

وفي هذا المضمار استوقفني الشعر السوداني الحديث الذي يشكل دوراً مفصلياً في تاريخ النهضة الأدبية، حيث نمت جذوره التاريخية "منذ بداية الحكم الثنائي في السودان سنة ١٨٩٨م إلى وقتنا الحاضر.[٢]

إنّ الشعر السوداني الحديث يحمل في طيّاته سمو أخلاقياً رفيع المستوى، بفضل شعراء تبنوا النهوض بالأدب في كل مستوياته، في ظل صحوة أدبية وفكرية تعبر عن البيئة وتعكس واقع الحياة، إذ تنقل للمتلقي سمو الشخصية السودانية من خلال المعطى البيئي الواضح في النص الأدبي، الذي يمثل الإطار الزمني الذي اختلفت فيه

---

[١] - أبو تمام- ديوان أبي تمام الطائي- شرح شاهين عطية، مكتبة الطالب والكتاب اللبناني . بيروت ط١، ١٩٦٨

[٢] - حسن بشير، ٢٠١٠، الشعر العربي المعاصر، ط١، الدار السودانية للكتب بالخرطوم، ص ١٥

أنماط الحياة عما كانت عليه حيث عاش الشاعر تجربته الذاتية وعبر عنها أصدق تعبير.[١] وأوضح جانب السمو الروحي في أروع ديباجة، ممثلاً في التحلي بحسن الخلق والتوشح بفضائل الكرم والشجاعة واستنهاض الهمم وينادي برفض الذّل، وإباء الضيم، وإشعال جذوة الحماسة.

وشعراء العصر الحديث في السودان كُثر، من أهمهم: التجاني يوسف بشير ومحمد أحمد محجوب، وعبد الله الطيب، ومحمد المهدي المجذوب وإدريس محمد جمّاع، أما رائدهم، فهو الشاعر محمد سعيد العباسي الذى تمحورت حوله هذه الدراسة تحت عنوان: **السمو الأخلاقي في الشعر السوداني الحديث (محمد سعيد العباسي أنموذجًا)**.

أهمية الدراسة

وتتمثل أهمية هذا البحث في أهمية الشاعر محمد سعيد العباسي نفسه، الذى يأتي على رأس مدرسة الإحياء والبعث الأدبية، كما تظهر أهميتها في أنها تناولت مرتكزاً أساسياً في الإنتاج الأدبي؛ ألا وهو جانب السمو الأخلاقي في الشعر السوداني الذى يقوم عليه تكوين الشخصيات السامية المتزنة روحياً وأخلاقياً.

هدف الدارسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على الشاعر محمد سعيد العباسي، ودراسة شعره دراسة تأملية معيارية توضح أهم دلالات السمو الأخلاقي في شعره، وتدعو إلى الاهتمام والعمل على تطبيقها تدويناً وممارسة، بحيث تَصبُ التيارات الأخلاقية في قوالب معرفية، تجعل من الفرد متألقاً شخصياً واجتماعيا.

---

[١] - الطاهر أحمد مكي، ٢٠١١م، الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته، ط٩، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ص١٣٦.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي حيث قامت على تمهيد ومبحثين، فالتمهيد بعنوان الشعر السوداني الحديث، وتناول المبحث الأول نبذة قصيرة حول الشاعر، أما المبحث الثاني فقد بيّن معالم السمو الأخلاقي في شعر العباسي.

نتائج الدراسة:

ومن أهم نتائج الدراسة: أن شعر العباسي يزخر بقيم إنسانية فاضلة حيث اشتمل على مادة موفورة من السمو الأخلاقي النبيل، فهو يطرح الحياة في صورة متحركة نشطة زاخرة بالتفاعلات الاجتماعية والأحداث السياسية، مما عمّق جانب البعد الأثري لإنتاجه الفني في رؤية متميزة

وحظيت الجوانب الأخلاقية عنده باهتمام بالغ، فهي مزيج من روافد عدة تجمع ما بين الأصالة والحداثة، فهو يعتمد على عنصر الواقعية والتعقّل مع المحافظة على الشحنة العاطفية لإنتاجه الأدبي والفني؛ محافظة عليه من الجمود والجفاف، فجدد في الموضوعات والأخيلة وحافظ على الأسلوب القديم والمتانة التعبيرية إذ يقول شاعرنا:[١]

غيري شدا فتعالوا اليوم فاستمعوا
شعرَ النُّواسيِّ من تلحينِ إسْحاقا
شعرٌ هو الأدب العالي أُنسِّقُه
كالدُّرِّ عقدًا وكالخِيريِّ أطباقا
أحْبُو به كلَّ من رَقَّتْ شمائله
منكم وبات إلى العلياء توّاقا

[١] - محمد سعيد العباسي- ديوان العباسي- الدار السودانية للكتب. الخرطوم، ط١، ٢٠١٠م، ص٦٩

تمهيد

شكل الأدب السوداني الحديث دورًا مفصليًا في تاريخ النهضة الأدبية الحديثة التي بدأت بوادرها مع بداية الحملة الفرنسية على مصر،[١] حيث أهتم الأدباء بإحياء الأدب وبعثه من جديد بعد الضعف والانحلال الذي أصابه بسبب سيطرة الأجانب من المماليك والأتراك على البلاد العربية، حيث اهتم الشعراء بأدبهم وعمدوا على النهوض به في كافة مستوياته إذ مزجو بين القديم والحديث فخلفوا انتاجاً أدبياً يتراوح بين أشد صور التقليد إلى أبعد نماذج التجديد. وصحب ظهور النهضة الأدبية الحديثة تأسيس المدارس والجامعات العربية كما ازدهرت فنون الأدب بفروعها المتنوعة مثل القصة والرواية المسرح والمقالة حيث ساد تطور أدبي ولغوي وشعري رائع يعبر عن آمال وطموحات بعيدة المرافئ، إذ صحب النمو العقلي وتطوره؛ قيام حركات سياسية نشطة عرفت باسم" الجمعيات "تمخض عنها ميلاد فكرة القومية العربية والمطالبة بالإصلاح الاجتماعي ورعاية حقوق الانسان ثم تبلورت فكرة الاستقلال.

وفي عصر النهضة تم تأسيس أول مجمع للغة العربية وإدخال المطابع بالحرف العربي، وارتقى فن الموسيقى والنحت وعلم التأريخ والعلوم الإنسانية، ونشطت حركة البعثات والترجمة، حيث أشعل اللقاء بين الشرق والغرب جذوة التحدي والتصدي بين الشعراء وأصبح الشاعر يستوحي الحياة ويجعلها مادة خصبة لشعره ويستخرج من بين شعابها صورًا حية تنبض بالحيوية والحركة في ظلال النهضة الأدبية، وازدهر الشعر السوداني الحديث يحمل في طيّاته سمواً أخلاقياً رفيع المستوى؛ ساعد على تطوره حب السودانيين للشعر، وتوفر وسائل نشره من صحافة وطباعة وترجمة وبعثات علمية، مما أكسب الأديب نضجًا فكريًا رفيع المستوى، حيث تفجرت ينابيع الإبداع لديه.

---

[١] - محمد عبد المنعم خفاجي- حركات التجديد في الشعر العربي الحديث - دار الوفاء للطباعة والنشر ٢٠٠٢م ص٢.

وقد استطاع العباسي أن يقدم لنا النموذج الإنساني الفاضل، فالتحم الشعر مع التجربة في إطار الرؤية تلاحماً جعل من النموذج بنية فنية مؤثرة،[١] إذ يُستخدم الشعر بوصفه أداة معبرة عن دواخل الأنسان وهمومه وتجاربه بأسلوب مؤثر يؤكد حرية الشاعر وبراعته التعبيرية من ناحية واهتمامه بشرح القضايا القومية من ناحية أخرى؛ إذ تنقل للمتلقي سمو الشخصية السودانية من خلال المعطى البيئي الواضح في النص الأدبي، الذي يمثل الإطار الزمني الذي اختلفت فيه أنماط الحياة عما كانت عليه حيث عاش الشاعر تجربته الذاتية وعبر عنها أصدق تعبير.[٢]

وقد اهتم شعراء السودان بغرس روح السمو الأخلاقي في نفوس الناشئة ليهدفوا إلى ضبط السلوك الإنساني ويمكنه من التكيف مع المجتمع بصورة إيجابية، في أروع ديباجة، فقدموا فكراً جديداً وقراءة وجدانية للحياة ممثلاً في التحلي بحسن الخلق، ونبيل الصفات والتوشح بفضائل الكرم والشجاعة واستنهاض الهمم وينادي برفض الذّل، وإباء الضيم، وإشعال جذوة الحماسة.

ومن شعراء السودان الذين لمع اسمهم في سماء الشعر العربي الحديث: التجاني يوسف بشير وعبد الله الطيب ومحمد أحمد محجوب، ومحمد المهدي المجذوب وإدريس محمد جمّاع، أما رائدهم، فهو الشاعر محمد سعيد العباسي الذي تمحورت حوله هذه الدراسة.

---

[١] - شوقي ضيف- تاريخ الأدب في العصر الجاهلي- دار المعارف، بمصر، ١٩٧٧م، ص٣٧١.

[٢] -الطاهر أحمد مكي، ٢٠١١م، الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته، ط٩، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ص١٣٦.

المحور الأول

نبذة عن الشاعر العباسي

اسمه: محمد سعيد العباسي بن محمد شريف نور الدائم بن أحمد الطيب العباسي، من شعراء التجديد في الشعر السوداني الحديث، ولد بقرية عراديب ود نور الدائم بالنيل الأبيض في ٢٣من رمضان سنة ١٢٩٨هـ. ١٨٨٠م، ثم انتقل به والده – أثناء الثورة المهدية في السودان – إلى قرية الشيخ الطيب" شمال مدينة أمدرمان "حيث تقيم الأسرة الآن ((ديوان العباسي، ١٩٩٩: ١١).[١]

تفرع شاعرنا العباسي من دوحة عريقة النسب ضاربة جذورها في أعماق المجد والشرف متمسكة بأهداب الدين والفضيلة؛ مما عمق جانب البعد الأثري لدى شاعرنا وأكسبه صفاء روحيا ووجدانا، فنشأ العباسي نشأة علمية وسياسة رائدة، حيث وافق عصره تبلور بذور النهضة العربية الشاملة واضطراب الأحوال السياسة في العالم العربي؛ فتمكن الشعور الوطني من نفسه وانعكس ذلك على انتاجه الأدبي شمولا وعمقا.

بدأ مسيرة حياته التعليمية بحفظ القرآن الكريم الذي نهل منه ثقافته الدينية من تجويد وتفسير وفقه، كما درس علوم اللغة العربية المختلفة، حيث أظهر حبًا شديدًا للأدب؛ شعره ونثره، فنهل منه ما نهل اطلع على دواوين الشعراء وكتب اللغة، كما درس قواعد النحو والصرف، فقد حفظ ألفية ابن مالك، ومتن الأجرومية، ومتن الكافي في علمي العروض والقوافي (ديوان العباسي: ١١). على أيدي كوكبة من العلماء الأجلاء على رأسهم الأستاذ محمد عثمان الزناتي، الذي كانت له أيادٍ بيضاء في توجيه شاعرنا وتزويده بالثقافات الأدبية القيمة، هذا إلى جانب العناية والرعاية التي وجدها

---

[١] - محمد سعيد العباسي-الديوان - الدار السودانية للكتب، الخرطوم- ط١، ١٤٣١هـ .٢٠١٠م ص١٠.

في كنف أبيه الأستاذ محمد شريف نور الدائم، حيث تحدث عنه معترفًا بفضله ودوره الفعال في تعليمه قائلًا: (فقد كان يحثني مشجعًا على حفظ أشعار المتقدمين، ويطلب مني أن أنظم البيتين أو الثلاثة في معنى يختاره، ومتى رأني وفقت أجازني جائزة كان يرقص لها قلبي فرحًا).[١]

وبعد أن اشتد عوده واستوى على سوقه شد رحله إلى مصر طلبًا للعلم، فكانت وجهته القاهرة، حيث التحق بالكلية الحربية غير أنه لم يواصل تعليمه واستعفى بعد سنتين من انتظامه بالكلية[٢] بعد أن رأى أن نظام الترقي بها يعتمد على الأقدمية لا على التفوق العلمي.

عاد العباسي إلى بلاده حيث واصل بحوثه ودراساته في مختلف علوم اللغة العربية، بهمة وعزيمة لا تعرف الانكسار جعلته رمزًا من رموز شعراء السودان في العصر الحديث، بل هو رائد من رواد حركة الإحياء والبعث للأدب العربي الذين تمثلوا التراث الشعري صياغة وأسلوباً وصورة، حيث أعاد للشعر السوداني قوته وجزالته في أروع ديباجة وأزهى حلة، وأصبح جديرًا أن يقال عنه باعث لنهضة الشعر الحديث في السودان.[٣]

يقول مخائيل: (١٩٢٣م):(الشيخ محمد سعيد العباسي يعد في الطبقة الأولى من شعراء السودان في أسمى الشعراء خيالًا وأعلاهم منفساً، وأجودهم قافية، متين الأسلوب يغوص في فينتزعه لؤلؤة بين أصداف).[٤]

عشق شاعرنا الترحال وحياة البادية وتجول في بوادي السودان المختلفة غرب النيل الأبيض وديار الكبابيش، حيث نظم أشعار رائعة عكس فيه حياة البدو وديارهم

---

[١] - المرجع السابق نفسه -ص ١٠.

[٢] - المرجع السابق نفسه -ص ١١.

[٣] - د حسن أبشر الطيب، العباسي الشاعر التقليدي المجدد، ط١، ١٩٩٩م ص ١٢٧

[٤] - سعد، ميخائيل : شعراء السودان، مطبعة رمسيس،ط١، القاهرة، ١٩٢٣-ص٢٢

تحمل في طياتها سموا روحيا رفيع المستوي يموج بالعروبة موجا وتحمل قوة ومتانة منحته الخلود الأدبي.

انتقل العباسي إلى جوار ربه ١٣٨٣هـ.١٩٦٣م بعد أن خلف مادة موفورة من الثراء الأدبي شعرًا ونثرًا من أهمها: ديوانه المطبوع الذي يحمل اسمه.[١]

[١] - المرجع السابق نفسه، ص٢٧

المحور الثاني

السمو الأخلاقي في شعر العباسي

إن الشاعر محمد سعيد العباسي يعتبر من أبرز الشعراء الذين تبوؤوا مكانة أدبية رفيعة في عصر النهضة الأدبية الحديثة، إذ خلَّد سجلاً أدبياً رائعاً انضوى على فرائد تشع سمواً وفضلاً؛ يحمل بين جوانحه قيم إصلاحية هادفة بناءة" إن الأديب الرسالي هو صاحب القلب النابض والضمير الحي الذي لا يعرف اليأس إلى نفسه سبيلا، مهما بلغ وضع أمته من التردي، وهو يسعى المرة تلو المرة إلى أن يجدد الثقة في النفوس، ويغير ما بها من ضعف؛ لتقبل على تغيير واقعها وتصحح أحوالها).[١]

والعباسي عمودي في شعره حيث نظم على الموزون المقفي، محافظاً على متانة اللغة وجزالتها التي استمدها من نشأته البدوية بمضاربها ونيرانها وكغيره من شعراء تلك الحقبة "حافظوا على القديم وتمسكوا به، وتقيدوا بموسيقا الشعر وأوزانه، ولم يخرجوا بالقصيدة عن مضمونها المعروف لدى الأقدمين؛ من وحدة القافية والروى، كما كانت عباراتهم جزلة وألفاظهم قوية رصينة وأغراضهم التي نظموا فيها واضحة".[٢]

يقول سامي (١٩٦٩): (يعتبر العباسي رائدًا لنهضة الشعر في السودان وعلى رأس حركة الإحياء والبعث متتبعاً تقليد الشعر العربي القديم متأثراً بروح البداوة والفروسية).[٣]

إن القارئ لشعر العباسي يرتوي سمواً أخلاقياً عذب المناهل، شكل دوراً مفصلياً في شعره أضفى على قصائده صورتها الكاملة شكلاً ومضموناً، فجاءت مشربة بألفاظ متينة جزلة وعبارات مؤثرة تختار الأصفى والأنقى من الأسلوب تدل على سعة

---

[١] - أحمد شوقي، أمير الشعراء- الشوقيات- مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر القاهرة ط٢، ٢٠١٢م ص ٤٧٦

[٢] - د. حسن أبشر الطيب- العباسي الشاعر التقليدي المجدد- ١٩٩٩م- ص ١٠٩.

[٣] - سامي، أحمد عبد الله : الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ١٩٦٩.-ص٣٤

مخزونه الثقافي وتمكنه من ناصية اللغة "وتأتي الجزالة والرصانة بقدر تمكن الشاعر من اللغة العربية، وبقدر ذلك التمكن، تتدفق المعاني فتكتسب القصيدة ثوبها الأخاذ".[١]

إن الشاعر العباسي أرسل أبياتًا تمور بالأخلاق موراً محاطة بسياج من القيم النبيلة السامية في سياقات مختلفة، منها السياق السياسي والاجتماعي والديني والأخلاقي والتربوي التعليمي.

السمو الأخلاقي السياسي والاجتماعي:

إن القارئ المتدبر لشعر العباسي يجده ينضح بسمو سياسي واجتماعي نبيل رفيع المستوى، يعكس مدى تشرّب روح الشاعر بحب وطنه، حيث عاصر فترة تدهور الأحوال السياسية في السودان أثناء الحكم الثنائي؛ فتعمق البعد السياسي في دواخله فجاء شعر العباسي يحمل رسائل إصلاحية هادفة، فهو يرى وجوب نهوض الأدب بمهمة الإصلاح السياسي والاجتماعي "إن الأديب الرسالي هو صاحب القلب النابض والضمير الحي الذى لا يعرف اليأس إلى نفسه سبيلا، مهما بلغ وضع أمته من التردي، فهو يسعى المرة تلو المرة إلى أن يجدد الثقة في النفوس ويغير ما بها من ضعف؛ لتقبل على تغيير واقعها وتصحيح أحوالها".[٢]

والعباسي لم يكن قاصرًا على قضايا وطنه وحده، بل تناول قضايا المجتمع العربي كله، فجاء نظمه متوهجًا يحمل تضامنًا عروبيًا منقطع النظير، يدعو فيه إلى توحد الصف من غير تحزب أو عصبية "والوطنية والقومية من أهم النزعات الاجتماعية التي تربط الفرد بالأمة وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل على إسعادها".[٣]

---

[١] - سعد، ميخائيل : شعراء السودان، مطبعة رمسيس،ط١، القاهرة، ١٩٢٣-ص٣٥

[٢] - شوقي- الشوقيات -، ج ٢، ٤٧٦.

[٣] - د. بدوي طبانة- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي- م دار الثقافة بيروت لبنان- ١٩٨٥ ص ١٦٢

وشاعرنا العباسي في سموه السياسي والاجتماعي يرسم صور مختلفة للتعبير عما يجيش بخاطره من سمو وطني نبيل؛ فتارة يحفز العزائم والهمم للتضحية والفداء وتارة يشدو بأهازيج النصر، كما يشجو بلوعة الحزن "الشاعر المقتدر كالمصور المقتدر يرسم الصورة عدة مرات مختلفة، كل واحدة منها تغاير سابقتها وتختص بلون من الفن والحسن ليس لأختها".[١]

ومن روائع العباسي التي مثلت السمو السياسي والاجتماعي؛ قصيدته التي بعنوان يوم التعليم، وما انضوت عليه من خلق نبيل يحمل نظرة شمولية بعيدة الأفق؛ أفصح بها لسان عربي أصيل من أرومة بدوية عريقة، حيث قال ناصحاً بني قومه وعشيرته وداعيهم إلى الوحدة وضم الصفوف ونبذ الشتات والفرقة من غير تحزب أو عصبية، إذ العصبية والوطنية والقومية من أهم النزاعات الاجتماعية التي تربط الفرد بالأمة وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل على إسعادها.[٢]

قال العباسي:[٣]

بني العشيرة لي نصح ولست به ... مداجياً أتعامى الحق مذاقا
ضموا الصفوف وضموا العاملين ... لكي تنيروا لهذا الشعب آفاقا
إن التحزب سم فاجعلوه أبداً ... يا قوم منكم لهذا السمّ ترياقا
فحاذروا كل مشاء بتفرقة ... يُمسي ويصبحُ كالغربان نقاعا
لا تعجزوا أن تكونوا للهدى قبسا ... فكلكم قد زكا غرساً وأعراقا
فمحصوا الرأي لا ترضوا بيانعه ... وإنّ أصاب هوى منكم وإن راقا
مهلاً أخا العسر لا تعجل فربك قد ... سوى الخفيين أعماراً وأرزاقا

---

[١] - شوقي -الشوقيات - ج ٢، ٤٢٩ ت ٤٣٠.

[٢] - د. بدوي طبانة- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي- ص ١٦٥

[٣] - العباسي، الديوان ص ٧٠. ٧١

عسى الذي خلق الأشياء عن قدر يُزجي لنا من سماء الفتح إغداقا

ومن أبرز قصائد العباسي المفعمة بالسمو الأخلاقي الاجتماعي قصيدته التي نظمها عندما زار معهده بمصر، حيث أرسل شعرا يتدفق شوقاً إلى أصدقائه ورفاق دربه حيث يذكر أيامه التي قضاها بهذا المعهد، وهو في ريعان شبابه، مصوراً مدى فرحه بعوته لتلك الديار كأنّما يسعى إلى الديار المقدسة حيث قال:[١]

دار درجت على ثراها يافعا ولبست من برد الشباب الأنضرا
ولقد سعيت لها فكنت كأنّما أسعى لطيبة أو إلى أم القرى
فارقتها والشعر في لون الدجى واليوم عدت به صباحا مسفرا
ووقفت فيها يوم ذاك بمعهد كم من يد عندي له لن تكفرا
يا دار أين بنوك إخواني الأولى رفعوا لواءك دارعين وحسّرا
زانوا الكتائب فاتحين وبعضهم بالسيف ما قنعوا فزانوا المنبرا
لم أنسَ أيامي بهم وقد انقضت وكأنها والله أحلام الكرى

ومن أروع ما نظمه العباسي من شعر يتدفق سموا وطني رفيع، تلك أبياته التي أفصح فيها عن شوقه لوطنه ولأهل النيل عامة، ويتأجج شوقاً عندما يسمع هديل حمامة ورقاء، حيث يشبه حاله بها في الغربة والنوى، ويطلب شاعرنا من الورقاء أن يتبادلا الإنشاد حتى يخفف كل منها على الأخر قال العباسي:[٢]

هوًى إلى النيل يصبيني وساكنه أجله اليوم عن حصر وتعداد
وحاجةً ما يعنيني تطلبها لو لا زماني ولولا ضيق أصفادي
فاقتادت اللبّ مني قود ذي رسن ورقاء أهدت لنا لحناً بترداد
هاتي الحديث رعاك الله مسعفة وأسعدي فكلانا ذو هوى بادي

[١] - المرجع السابق نفسه- ٢٥. ٢٦ ٧
[٢] - المرجع السابق نفسه- ص ٣٦.

ورقـــاء إنـــك قـــد أسمعتـــني حســـناً هيا اسمعي فضل إنشائي وإنشادي
إنا نـــديمان في شـــرع النـــوى فخـــذي يا بنـت ذي الطـوق لحنـاً مـن بـني

السمو الأخلاقي الديني:

إنّ الدارس لشعر العباسي يلمس فيه سمواً دينياً رفيع المستوى، غمر معظم قصائده، حيث احتل فضاءً رحباً من انتاجه الأدبي، انعكس انعكاساً صادقًا على لوحته الفنية ومادته التعبيرية والتصورية؛ باعتباره المرتكز الأساسي الذى تنبني عليه نشأة الأجيال السوية على أسس دينية راسخة الجذور، تضمن لهم حياة مطمئنة ونفس راضية مرضية، تضمن لهم التماسك والثبات اللازمين لممارسة حياة دينية سليمة تعمل على اصلاح الفرد نفسياً وأخلاقيا، من خلال فهم واع لدور الشعر في إرساء السمو الديني والأخلاقي.

أرسل العباسي قصائده ذات العبق الديني، معبراً عن دوره في تشيّد القواعد الدينية والأخلاقية لنهضة المجتمع وتطوره، متخذاً الحكمة والموعظة الحسنة منهجاً وأسلوباً؛ لما لهما من تأثير عاطفي كبير على النفس الإنسانية، وقد استخدم شعراء العرب "الموعظة والنصح، الذي يؤثر على عقول النشء ويغذي مشاعرهم بالقواعد الأخلاقية، فالموعظة تؤثر في النفس وتذكيها وتطهرها، مما يؤدي مما يؤدي إلى تعديل السلوك وإكساب القيم المرغوب فيها".[1]

ومن روائع شعر العباسي التي تحمل سمواً ديناً رفيع المستوى؛ رائعته التي دعا فيها إلى مجاهدة النفس وفعل الطاعات ومراقبة الله تعالى؛ أنّ لذة العيش في الزهد والتقشف وصحبة الفقراء من الناس ذوي السجايا الحميدة، والسيرة العطرة، فالعاقل من يغتنم وقته في رضاء ربه معتصماً بحبل الله، ملازماً الصمت في أغلب حالاته، معتذراً إذا وقع

[1] - أحمد طنطاوي - القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي القاهرة، ص، ١٨٢.

منه خطأ، يغض الطرف عن عيوب الأخرين، ثم يختم حديثه بالصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، يقول الشاعر العباسي:[١]

قم جَرّد العزمِ للطاعاتِ مبتدراً ... وراقب الله تحمد فب الصباح سرى
يا طالباً من لذاذات الدّنا وطراً ... إذا أردت جميع الخير فيك يُرى

*ما لَذة العيش إلَّا صحبة الفقراء = هم السلاطين والسادات والأمراء

قومٌ كرامُ السجايا حيثما حلّوا ... يبقى المكان على أثارهم عطرا
هُم أهلُ ودي وأحبابي الذين هُمُو ... ممن يجرّ ذيولَ العزّ مفتخرا
واستغنم الوقت واحضر دائماً معهم ... وأعلم بأنّ الرضا يخص من حضرا
ولازم الصمت إلّا إن سئلت فقل ... لا علم عندي وكن بالجهل مستترا
يارب صلّ على المختار سيّدنا ... محمدٍ خَيرِ من أوفى ومن نذرا

ويستمر شاعرنا العباسي في رسم لوحاته الدينية السامية حيث ينظم أبياتاً مترعة بسمو ديني أخلاقي رفيع المستوى، إذ نجده يتضرع ويبتهل إلى الله تعالى أن يغفر ذنوبه ويزين ظاهره وينور باطنه، بغفران ذنوبه التي أثقلت كاهله، فلاذ بحمى الله تعالى واسع الصفح والمغفرة، قال الشاعر محمد سعيد العباسي:[٢]

ياربّ أنت حمايتي فتولّني ... يا رب أنت من النوائب مفزعى
جد لي وزين ظاهري بعوارف ... وبباطني نور المعارف أودع
وأقبل شكاية فاقتي وتطلبي ... لنداك وارحم ذلتي وتوجعى
انا عبد سوء أوثقته ذنوبه ... أنا لائذ بحمى الرحاب الأوسع
إن لم تكن لي من ذنوب أثقلت ... ظهري فما أقوى وأقفر مرتعى

[١] - العباسي- الديوان - ص، ٢٠٦.٢٢٦.

[٢] - العباسي- الديوان ص ٢٠٠.

وفي موضع آخر يدعو العباسي إلى تصفية النفس وتنقيها من شوائب الذنوب بصفاء القلب والسريرة وترك الانغماس في ملذات الدنيا الفانية حتى تنال ما ترجوه من آمال ومأرب يقول:[١]

إن رمت بالسير تلقى عالى الرّتب ... فأترك مرادك واخلع خلعة الريب
طهر فؤادك من لهو ومن لعب ... وافتح باب الرجاء بالذّل والأدب
وحاسب النفس وانهج نهج ذي أدب ... تنل بذلك ما ترجوه من أرب

السمو التربوي التعليمي:

نظم العباسي روائع فريدة حول الاهتمام بتربية الأجيال وتعليمهم، وحول هذا المعيار فاضت قريحته بمعان سخية في نظم معتق الشذرات' فجاء انتاجه الأدبي حول هذا المضمون مفعماً بموجهات تربوية رشيدة، عملت على إصلاح الفرد نفسياً وخلقياً ووسعت إطاره المرجعي؛ في فهم حياته وعلاقته مع الأخرين لأن الشعر التربوي هو "شعر يطلق على جميع أشعار قد انشدها الشاعر، دون الالتفات إلى مشاعره الشخصية ومصالحه الخاصة، وإنّما عبر الكمال في حسن النية والذوق لشعور الإنسانية في قضايا مختلفة، والتي يتوقف الإصلاح للوضع الاجتماعي والاعتلاء بمستوى الأخلاق العامة وإسعادهم عليها".[٢]

يرى شاعرنا العباسي أن تنشئة الأجيال على مكارم الأخلاق لها دور مفصلي في نهضة المجتمع وتطوره، بل هي مركز ثقل التقدم والرقي (إنّ مكارم الأخلاق التي تنبعث من نتاج التهذيب الصحيح، الذى غزى به شعراء الإصلاح لبناء الأمم، أصبح لازمة يرددها الناس شاهداً على ضرورة وجودها في التقدم والرقي).[٣]

---

[١]-المرجع السابق نفسه ٢١٠.

[٢]- مؤتمن زين العابدين، ١٩٩٦م شعر وأدب فارسي، الناشر دار جيهان للطباعة والنشر، ص ١٨٦.

[٣] - شوقي- الشوقيات -ج ٤، ص، ٧٦٧

وحول هذا المضمار تفرد بنتاج أدبي رائع، وله قصائد حملت العلم والتعلم عنوانًا لها، منها يتيمته التي بعنوان. يوم التعليم، ففيها خاطب الأجيال وأولياء الأمور بلغة الفكر والمنطق، بأسلوب رسالي هادف يغوص في أعماق النفس الإنسانية متجاوباً مع أهدافها وطموحاتها داعيا إلى الاهتمام بالعلم باعتباره النبع الصافي الذى ينهل منه الإنسان سعادته كما أنّه طوق النجاة من كلّ الأصفاد والقيود، غير أنّه يضع اللبنة الأساسية للعلم بالتربية الأخلاقية أولاً "التربية الأخلاقية من أشرف العلوم وأرفعها وهي تاج العلوم وإكليلها".[١]

ثم يناشد أفراد المجتمع ببذل الأموال من أجل خدمة العلم، مبيناً أثره في نهضة الشعوب وتطورها، قال شاعرنا الفذ محمد سعيد العباسي:[٢]

العلم يا قوم ينبوع السعادة كم ... هدى وكم فك أغلالاً وأطواقا
فعلموا النشءَ علماً يستبين به ... سبل الحياة قبل العلم أخلاقا
اقسمت لو كان لي مال لكنت به ... للصالحات وفعل الخير سباقا
ولا رضيت لكم بالغيث منهمرا ... مني ولا النيل دفاعاً ودفاقاً
فأقرضوا الله مما أفاء لكم ... يجزل ثواباً ويكسوا العود إيراقا
إنّ الشعوب بنور العلم مؤتلقاً ... سارت وتحت لواء العلم خفاقا
وكل بحر أحالوا موجه سفناً ... لم تشك أيناً ولا وخداً وإعناقا

وفي موضع أخر نجد شاعرنا العباسي يشيد مخططاً تربوياً للإصلاح الاجتماعي، يدعو فيه أفراد المجتمع للسعي في سبيل المجد والعليا، ولا ينشغلوا باللهو واللعب عن الرفعة والعلو، مسايرين الشعوب والأمم المتقدمة حيث قال:[١]

---

[١] - مقداد يالجن محمد على، ١٩٩٢، علم الأخلاق الإسلامية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض ط١، ص، ٧

[٢] - العباسي -الديوان، ص، ٦٩.

هل من رسول إلى قومي فيخبرهم ... أن لا سبيل إلى العلياء بلا تعب
وأن كل فخار لا يقام على ... دعائم الجد عقباه إلى العطب
ألهاهمو زخرف الدنيا وما ملكوا ... عن المعالي وما أتوه من نشب
مستعذبين كؤوس اللهو مترعة ... ببارد الظل فيه بارد الشنب
ظنوا الحصول على الألقاب مكرمة ... والشؤم في هذه الألقاب والرتب
والناس قد سبحوا بالجو في سفن ... ترمي بذي شرر منها وذي شطب

وحول المضمون نفسه يوضح العباسي منهجه في الحياة، في الذي أخذه عن أهله فهو يسعى إلى المجد والعلو لا تفتر همته يرمي بذلك إلى أن يعيش حرّاً أو يموت حرّاً ""العباسي رجل يجمع نفس الحرّ الأبي، إلي القلب القوي الذكي، إلى فن الشاعر الذى يغوص إلى أعماق المعاني، ويصورها في أبرع اللوحات ثم هو في ديباجته فذ، لا يكاد يجد الناقد له عديلا).[٢]

يقول العباسي:[٣]

أثقلت كاهلي مذاهب أشياخ ... كرام شمّ العرانين زهر

[١] - المرجع السابق نفسه-ص١٢٤.
[٢] - العباسي- الديوان -ص ، ٢٧.
[٣] - المرجع السابق نفسه ص٤٠.

أرهفـوا مـن حـدي وقـد علمـوني كيـف أفـري لـدى الصـنائع وفـري

لا أمـلّ السـرى ولا أتـرك السـعي اتكـالا علـى المقـادير تجـري

ومرامـي إحـدى اثنتـين فإمـا عـيش حـرّ أو لا فموتـة حـرّ

الخاتمة:

الحمد لله بدءاً وختاماً الذي يسر إكمال البحث المتواضع هذا، بعد ان قام بجولة شاقةٍ ممتعةٍ في ربوع الشعر السوداني الحديث؛ متمثلة في نظم الشاعر السوداني الفذ محمد سعيد العباسي، حيث توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

- إن نظم الشاعر محمد سعيد العباسي مفعم بسمو أخلاقي رفيع المستوى، فجاء إنتاجه الأدبي انعكاساً صادقاً للتجربة الإنسانية في رؤية متميزة، مزاوجاً بين السلوكيات الخلقية والقيم المعرفية، ذات الصلة الوثيقة بإنسان العصر وأهدافه، حيث أمتلك شاعرنا مهارة عالية في إدارة فن القول؛ مما عمّق جانب البعد الأثري لإنتاجه الفني فأكسبه الخلود الأدبي.
- إنّ شاعرنا العباسي يتمتع بشخصية واقعية متزنة فنشأته في البادية وتجواله في رحابها شكل منه شخصية متزنة تنبني على التعّقل والحكمة، فتشرّبت أفكاره بروح البدوي، مما جعله يشعر بقيمته الاجتماعية فأنعكس ذلك على إنتاجه الأدبي عمقاً وشمولاً، فعبّر عن تجاربه منطلقاً نحو تجارب إنسانية فاضلة، مما يدل على سعة أفقه ورسوخ أقدامه في أرض الفضائل،
- إنّ السمو الأخلاقي الذي تحدث عنه شاعرنا العباسي، جاء شاملاً متعدداً يمس كل ما يهم الفرد والمجتمع من قضايا سياسية واجتماعية ودينية، **شكل رسماً دقيقا لمسار تطور حياته** فأسهب القول حول قضية التربية والتعليم التي احتلت جانباً محورياً وتعاملاً مصيرياً من شعره، في سمو روحي وأخلاقي يشعّ نوراً فيمتد ليغمر زوايا الفكر والعاطفة لدى المتلقي.

المصادر والمراجع

١. أبو تمام- ديوان أبي تمام الطائي- شرح شاهين عطية، مكتبة الطالب والكتاب اللبناني. بيروت ط١، ١٩٦٨
٢. أحمد شوقي، أمير الشعراء- الشوقيات- مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر القاهرة ط٢، ٢٠١٢م.
٣. أحمد طنطاوي - القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي القاهرة-١٩٩٦م.
٤. بدوي طبانة- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي- م دار الثقافة بيروت لبنان- ١٩٨٥
٥. حسن أبشر الطيب، العباسي الشاعر التقليدي المجدد، ط١، ١٩٩٩م.
٦. حسن بشير- الشعر العربي المعاصر، ط١، الدار السودانية للكتب بالخرطوم. ٢٠١٠م.
٧. سامي، أحمد عبد الله: الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ١٩٦٩.
٨. سعد، ميخائيل - شعراء السودان، مطبعة رمسيس، ط١، القاهرة، ١٩٢٣م.
٩. شوقي ضيف- تاريخ الأدب في العصر الجاهلي- دار المعارف، بمصر، ١٩٧٧م.
١٠. طاهر أحمد مكي، الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته، ط٩، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر-٢٠١١م.

١١. محمد سعيد العباسي- ديوان العباسي- الدار السودانية للكتب - ط١، الخرطوم، ط١، ٢٠١٠م.
١٢. محمد عبد المنعم خفاجي- حركات التجديد في الشعر العربي الحديث - دار الوفاء للطباعة والنشر ٢٠٠٢م.
١٣. مقداد يالجن محمد على- علم الأخلاق الإسلامية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض ط١-١٩٩٢م.
١٤. مؤتمن زين العابدين- شعر وأدب فارسي، الناشر دار جيهان للطباعة والنشر- ١٩٩٦.